أهمِّيَّة النَّصِّ الأدبيّ

في تعليم قواعد النحو

عِندَ القُدماءِ والمُحدَثينَ

د. سعد الدين إبراهيم المصطفى

شبكة الألوكة
www.alukah.com
www.facebook.com/AlukahNetwork
twitter.com/#!/alukahnet1
www.youtube.com/user/alukahNet?
info@alukah.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البحث (أَهمِيَةُ النَّصِّ الأدبيِّ فِي تَعلِيمِ قَواعِدِ النَّحو
عِندَ القُدماءِ والمُحدَثِينَ)

وهو من

المحور الثالث: تحدي المواءمة بين الأصالة والمواكبة مرجعية النص الأدبي في تعليم قواعد النحو والبلاغة العربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهداف البحث

١- إظهارُ قِيمةِ النَّصِّ الأدبيِّ، وأثرُهُ فِي بناءِ قَواعِدِ النَّحوِ قَديماً وحديثاً.
٢- اعتِمادُ الرأيِّ النَّحويِّ الصَّحِيحِ بناءً علَى القَواعدِ النَّحويَّة التي أَجمَعَ النُّحاةُ علَى اعتِمادِها.
٣- كيفيَّةُ تَعلِيمِ القَواعِدِ النَّحويّةِ التي يَجِبُ أنْ يَكُونَ ذلِكَ حَصِيلةَ الاستِعمالِ فِي المواقِفِ الكَلاميَّةِ والثقافيَّةِ والاجتِماعيَّةِ المختلفةِ.
٤- تميُّزُ القَواعِدِ النحويَّةَ بِمِيزاتٍ مِنها: الضَّبطُ والاقتِصادُ والشُّمُولُ.

منهج البحث

سَلَكْتُ فِي هذا البَحثِ **المَنهَجَ الوَصفِيَّ**:

عَمَدْتُ فيهِ إلَى جَمعِ المادَّةِ العلميَّةِ وتَفسِيرِها وتَحلِيلِها، واستِقراءِ الآراءِ وتَفصِيلِها تَفصِيلاً مُفهِماً. فَدِراسةُ الظَّاهِرةِ " النُّصوصِ والقَواعِدِ " والبناءُ علَيهِما كانَتْ دِراسةً واقِعيَّة مُجَرَّدةً، والاهتمامُ بِوصفِها وَصفاً دَقِيقاً، ويُعبَّرُ عنها كيفيَّاً وكَميَّاً بِطرقٍ مُختلِفةٍ للوصُولِ إلَى النَّتائِجِ الصَّحِيحةِ.

خُطَّةُ البَحثِ

قَسَمْتُ البَحثَ إلَى:

١- **مقدمة:** تحدَّثْتُ فِيها عن قِيمةِ النَّصِّ الأدبيِّ، وأنَّهُ السَّبِيلُ الأَوحَدُ إلَى استِنباطِ القَواعدِ واستِعمالِها، وأنَّ أيَّ نِظامٍ لُغويٍّ لا بُدَّ أنْ يقُومَ علَى الضَّبطِ والاستِقراءِ من خلالِ النُّصُوصِ الفَصِيحةِ.
٢- **المَوضُوع:** فِيهِ ثلاثةُ مَباحثَ، الأوَّلُ وهوَ **مُستَوياتُ النصِّ الأدبِيِّ** ويتضمَّنُ ثلاثَ فِقراتٍ **أولها: الاستِعمال،** فلا تَقُومُ فائِدةٌ إلا بالاستِعمالِ، ويَظهَرُ دورُ الاستِعمالِ في تحقِيقِ الفائِدةِ فِي الألفاظِ المستَعملةِ من النُّصُوصِ الفصيحة. **وثانيها: الوضُوح،** وهو اختِيارُ المفرداتِ البيِّنةِ الدَّالَّةِ علَى المقصُودِ، والمقصُودَ بِوضوحِ النصِّ هو الأسلوبُ الذي يَضمَنُ سُهولةَ وُصُولِ الفِكرةِ دُونَ أنْ يُؤثِّرَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلِكَ علَى بناءِ النصِّ. **وثالثها الاستِقراء:** وهُوَ عَمَلٌ يَحكُمُهُ الزَّمنُ فيبدأُ بَسيطاً ثمَّ يَتَّسِعُ ويَشتَدُّ عُودُهُ إلَى أنْ يؤتِيَ أُكُلَهُ في وقتٍ قد يَتَأخَّرُ قلِيلاً عن بدئِهِ.

والمبحث الثاني هو **أَنوَاعُ النَّصِّ الأدبِيِّ**، وفِيهِ الُقرآنُ الكريمُ والحديثُ الشَّريفُ وكلامُ العربِ نثره وشعره. **فالقُرآنُ الكرِيمُ** مِحورُ جميعِ الدِّراساتِ العربيَّةِ التي قامَتْ لِخدمتِهِ، ومن بينِها الدِّراساتُ النَّحويَّةُ، ولَولاهُ لاندَثَرَتْ العربيَّةُ الفُصحَى، ولَأَضحَتْ لُغةً شِبهَ مُنقرضةٍ. **والحديثُ النَّبوِيُّ** سَواءٌ نُقِلَ بِاللفظِ أو بالمعنى إنَّما يمثِّلُ اللُّغةَ الفُصحَى، تِلكَ المنسُوبةُ إلى عَصرِ الاحتِجاجِ. **وكلامُ العربِ** مِن الشِّعرِ والنَّثرِ شرطُهُ النّقاءُ اللُّغويُّ مِعَ المحافَظةِ علَى الزَّمانِ والمكانِ للاحتِجاجِ.

والمبحثُ الثَّالِثُ **هُوَ القَواعِدُ النَّحويَّة** وفيه ثلاث فقرات أولها: **وظيفة القواعد** وهِي دِراسةُ مُستوى بِعينِهِ مِن مُستوياتِ اللغةِ، ومَعرفةِ نُظمِهِ وضوابِطِهِ، وصِياغةِ هذِهِ النُّظمِ والضَّوابِطِ في صورةِ قواعدَ كليَّة. وثانيها: **تعلُّمُ اللغة وتعليمُها** ونعني بها تُعلِّمَ اللُّغةِ العربيَّةِ وتَمهِيدَ الطَّرِيقَ لها، ولا بُدَّ حينَ تَعلِيمِ العربيَّة مِن نصوصٍ أدبيَّةٍ فَصِيحةٍ م لِنَتَعلَّم قَواعِدَها. وثالثها: شُرُوط القَواعِدِ ولها ضَوابِطُ منها الشُّمولُ والاطِّرادُ والعِلَّةُ والاقتِصادُ والاختِصارُ وعَدمُ التناقُضِ.

٣-الخاتمة والتوصيات

خَتَمْتُ البَحثَ بخاتمة بيَّنْتُ فِيها أهميةَ النَّصِّ الأدبِيِّ. ثُمَّ انتقلْتُ إلى تَقعِيدِ القَواعِدِ النَّحويَّةِ. فالقَواعِدُ لم تَعُدْ مُجَرَّدَ وسِيلةٍ لِفَهمِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ أو أداةً لتعلُّمِ طُرقِ الكَلامِ والحديثِ واللغةِ العربيَّةِ بِفروعِها وحَسبُ، بل لها أيضاً أهدافُها العِلميَّةُ العامَّةُ بِجانِبِ الأهدافِ التَّطبِيقيَّةِ الكثيرةِ، ثمَّ بعدَ ذلِكَ أهمُّ التَّوصِياتِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ وأفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسليمِ على المبعُوثِ رَحمةً لِلعالمينَ وعلَى آلِهِ وصَحبِهِ أَجمعِينَ، وبعد.

يُعدُّ النَّصُّ الأدبيُّ أساساً في تَعلِيمِ القَواعِدِ النَّحويَّةِ، فاللُّغةُ العربيَّةُ ثَمَرةُ لِقاءٍ بينَ تَعلُّمِ النُّطقِ بِها من مُتَعلِميها، وبينَ مَعرفةِ القَواعدِ الخاصَّةِ بها، ومَوضُوعُ تَعلُّمِ اللُّغةِ واكتِسابِها يَعنِي الإفادةَ مِن القَواعِدِ ومن نَتائِجِ تَطبِيقِ الشَّواهِدِ والأَمثِلةِ الَّتي تُمَكِّنُ الدَّارِسَ مِن الإلمامِ بِها وإتقانِها.

والبَحثُ الوَصفِيُّ الَّذِي يُطبَّقُ في تَعلِيمِ العربيَّة وتعلُّمِ قَواعِدِها يَكمُنُ في تَعلُّمِ اللُّغةِ بِاعتِبارِها ظاهِرةً صوتِيَّةً مَكتُوبةً في المقامِ الأوَّلِ، أي: النصَّ الأدبيَّ، ولن ننسى أبداً أنَّ تَعلِيمَ القَواعِدِ النَّحويّةِ هو حَصِيلةُ الاستِعمالِ في المواقِفِ الكلاميَّةِ والثقافيَّة والاجتماعيَّةِ المختلفةِ، وأنَّ تَعلِيمَ اللُّغةِ العربِيَّةِ أخذَ يَضَعُ في اعتِبارِهِ دِلالةَ الكَلمةِ أو الجُملةِ أو العبارتَينِ فأكثرَ لا تتَّضِحُ عِندَ الدَّارِسِ إلا إذا دُرِسَتْ مُرتَبِطةً بمواقِفِ استِعمالاتِها، من خلالِ النَّصوصِ الفَصيحةِ.

فاستِظهارُ قوائِمِ المفرداتِ لا يَعنِي إدراكَ إيحاءاتِ المعنى المرادِ، ودِلالةُ الألفاظِ أو الكَلماتِ لا تُكتَسَبُ إلا في مواقِفِ استِعمالِها، ولا تُعلَمُ إلَّا في مِثلِ هذِهِ المواقِفِ أو بِبيانِ هذِهِ المواقفِ التي تَأتِي فِيها القواعدُ لِتَضَعَ الدَّارِسَ علَى الطرِيقِ الصَّحيحِ، فتَجِدَ الشَّواهِدَ والأمثلةَ ثمَّ تَضَعَ القواعِدَ وتُطبِّقَها علَيها.

فأيُّ نِظامٍ لُغَويٍّ يَتكوَّنُ من كلِماتٍ تُؤلِّفُ جُمَلاً لأَداءِ معنى فيه يَصِلُ إلى الفَهمِ الصَّحيحِ. والنَّصُّ الأدبيُّ الذِي يُستَخدَمُ في مجالاتِ الثقافةِ والعِلمِ والأدبِ الرَّفيعِ والتعلِيمِ هو ما يُصنَّفُ اجتِماعيَّاً بأنَّه فَصيحٌ، والنِّظامُ الذِي يَقتَصِرُ على مجالاتِ الثقافةِ والعلمِ والأدبِ هو اللُّغةُ العالِيةُ الفَصيحةُ التي تَحكُمُها قَواعدُ صَحيحةٌ ثابِتةٌ ومُطَّرِدةٌ. ونحنُ نبحثُ إلى جانِبِ البُنيةِ اللُّغويةِ عن القاعِدةِ النَّحويَّةِ أيضاً، والوَظيفةِ لِلُّغةِ التي تَجعلُ مجالاتِ الاستِخدامِ أمراً ضروريّاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مُستَوَياتُ النَّصِّ الأَدَبِيِّ

١-الاستِعمال:

لا تَقُومُ فائِدةٌ إلا بالاستِعمالِ، فما يَستَعمِلُهُ أهلُ اللغةِ، ويَصطلِحونَ علَيهِ هو الَّذِي يَكونُ مُفيداً دُونَ غَيرِهِ، أي لا بدَّ للغةِ من المواضَعةِ والاصطلاحِ أو التوقيفِ لمن لا يَقُولُ بالاصطلاحِ. ويَظهَرُ دورُ الاستِعمالِ في تحقِيقِ الفائِدةِ فِي الألفاظِ المستَعملةِ، وقد عُنِيَ أهلُ الُّلغةِ بتمييزِ المستَعمَلِ من المهملِ، لأنَّهم بَنَوا عليهِ قواعِدَهُم، وقَدَّمُوا جُهُوداً رائِدةً في التحقُّقِ من السَّماعِ لِكُلِّ ما نُقِلَ من العربيَّةِ عن لِسانِ العربِ.

وقد قَدَّمَ التراثُ العربِيُّ في مجالِ الاستِعمالِ مَجمُوعةً مِن الفُروضِ العِلميَّةِ، فاللُّغويونَ العربُ لم يألُوا جُهداً في جَمعِ المادَّةِ اللغويَّةِ، فقد وَجَدُوا أنَّ الراوِيَ المثالِيَّ للغةِ هو مَنْ يَملِكُها فِطرةً وسَلِيقةً وطَبعاً دونَ تأثُّرٍ بأيَّةِ عوامِلَ لَهجيَّةٍ أو خارِجِيَّةٍ من الدُّولِ المحيطةِ كالفُرسِ والحُبشِ والرُّومِ.

وللُّغةِ العربيَّةِ الفُصحى ظرفٌ خاصٌّ، لم يتوفَّر لأيَّةِ لُغةٍ من الُّلغاتِ، فقد تَفاعَلَتْ معَ الَّلهجاتِ في أنحاءِ جزيرةِ العربِ وما أحاطَ بها، في القَديمِ، واليومَ معَ العاميَّاتِ وتأخُذُ منها وتُعطِيها، فهِيَ كائِنٌ حيٌّ تتطوَّرُ علَى أَلسنَةِ المتكلِّمِينَ بِها، فينشأُ من هذا التطوُّرِ اختلافٌ بينَ مستوى وآخر.

غَيرَ أنَّ العربيَّةَ الفُصحى لها شَأنٌ آخرُ، ذلِكَ أنَّها ارتَبَطَتْ بِالقُرآنِ الكرِيمِ مُنذُ خمسةَ عشَرَ قرناً، ودُوِّنَ بِها التُّراثُ العربِيُّ الَّذِي كانَ مِحورَه القُرآنُ الكرِيمُ، فِي كثيرٍ مِن مظاهِرِهِ، وقد كَفِلَ اللهُ-سبحانَهُ- لها الحِفظَ كما كَفِلَ ذلِكَ لِدِينِهِ، فقالَ: (إنَّا نحنُ نَزَّلْنا الذِّكرَ، وإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)[١]. فاهتِمامُنا بِنُصوصِ اللغةِ يَجِبُ أنْ يكونَ نابِعاً مِن هذا المنطلَقِ، وهو ارتباطُها بِالدِّينِ الإسلامِيِّ، والتُّراثِ العربِيِّ.

---

[١] الآية ١٠ من الحجر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا أصبَحَ هذا الرَّأيُ واضِحاً في أذهانِ القائِمينَ علَى تَعليمِ العربيَّةِ، لم يَجنحْ بِهِمُ الخَيالُ إلَى أنَّ إجادةَ تعليمِها سَيَقضِي علَى لُغةِ الحديثِ اليوميِّ، فَلَيسَ مِن الضَّروريِّ أنْ يَستَعمِلَ النَّاسُ إعرابَ أواخِرِ الكلِماتِ في أحادِيثِهِم، فمِن القَواعِدِ المقرَّرةِ عِندَ عُلماءِ اللُّغةِ فِي العالمِ " أنَّهُ يَستَحِيلُ علَى مَجموعةٍ بشريَّةٍ، تَعيشُ فِي مِساحةٍ أرضيَّةٍ شاسِعةٍ، أنْ تَصطنِعَ فِي حَدِيثِها اليَوميِّ لُغةً موحَّدةً، تخلُو من اختِلافٍ صَوتِيٍّ، أو دلاليٍّ، أو اختلافٍ في البُنيةِ أو التراكِيبِ"[٢].

ومُمارَسةُ النُّصُوصِ العاليةِ، والإكثارُ مِن حِفظِها، ومُزاولةُ استِعمالِها هِيَ التي تُعطِي الدَّارِسَ التمكُّنَ فيها، والقُدرةَ على استِعمالِها استِعمالاً جيِّداً، وتَجعَلُهُ بكثرةِ مَحفوظِهِ قادراً على تَذوُّقِ الأساليبِ والتمييزِ بينَها، وهذا التذوُّقُ يجِبُ أنْ يَسبِقَ تَعلُّمَ القَواعِدِ نَظَرِيًّاً، لأنَّه إذا تَمكَّنَ في السَّامِعِ جَعَلَهُ يَشعُرُ بِالخطأِ إذا نَطَقَ بِهِ مُتكلِّمٌ، أو تكلَّمَ بِهِ نَفسُهُ، دونَ أن يُلِمَّ بِالقاعِدةِ.

وهنا يُمكِنُ أن نَقولَ: إنَّ تَعلُّمَ القَواعِدِ النَّحويَّةِ يأتِي إكمالاً لِحاسَّةِ التَّذوُّقِ، ومُفسِّراً للأخطاءِ، ومُوضِّحاً لِطبيعةِ التَّراكِيبِ العربيَّة، " وهذا الإحساسُ يَتكوَّنُ لَدَى الشَّخصِ مِن خلالِ سَماعِهِ المستَمرِّ لِلقَوالِبِ والتَّراكِيبِ الَّتي تَتَكَوَّنُ مِنها اللُّغةُ، ومن طريقةِ النُّطقِ لِلجُملِ الإخباريَّةِ والاستِفهامِيَّةِ والتَّعجُّبِيَّةِ، إذ إنَّ صَوتَ المتكلِّمِ لا بُدَّ أنْ يَتَغيَّرَ حَسبَ طَبيعةِ الجُملةِ، ارتِفاعاً وانخِفاضاً "[٣].

وهذا الأمرُ لا يُمكِنُ تَحقيقُهُ إلا بالإكثارِ مِن قِراءةِ القُرآنِ قراءةً مُجوَّدةً صَحيحةً، وكذلِكَ الأحادِيثُ النَّبويَّةُ الشريفة، والعنايةُ بِكلامِ العربِ الفَصيحِ شِعرِهِ ونثرِهِ في العُصُورِ الزاهيةِ، لأنَّ المتعلِّمَ مهما أُوتِيَ من علمٍ بالقَواعِدِ النظرِيَّةِ لا يُمكِنُ أنْ يَكُونَ فَصِيحَ اللِّسانِ بَيِّنَ الكلامِ جيِّدَ الفَهمِ، والنَّقدِ لِلنُّصُوصِ إلا إذا تَذوَّقَ اللغةَ ومارَسَها مِن خِلالِ نُصوصٍ حيَّةٍ وقويَّة.

---

[٢] فصول في فقه اللغة العربية: د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٤١٥.

[٣] مشكلات تعليم اللغة العربية: د.عباس محجوب، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢-الوُضُوحُ:

فالوُضُوحُ هُوَ اختِيارُ المفرداتِ البيِّنةِ الدَّالَّةِ علَى المقصُودِ، والعُدولُ عن كَثرةِ العَواملِ فِي الكَلامِ، وفِي الجُملةِ الواحِدةِ، وتحاشِي استِعمالِ الضَّمائِرِ بكثرةٍ ممَّا يُؤدِّي إلَى التِباسٍ فِي المعانِي، وسَبكُ الجُملِ سَبكاً جليَّاً بِدونِ تَعقيدٍ ولَبْسٍ، والابتِعادُ عنِ الجملِ الاعتراضيَّةِ.

فاللُّغةُ ظاهِرةٌ اجتِماعِيَّةٌ، ولكِنَّ استِخدامَها الحقيقيَّ لا يَتِمُّ إلا بينَ الفَردِ والآخرِينَ، وقد عُنِيَ عِلمُ اللغةِ ببيانِ العلاقاتِ بينَ اللغةِ باعتِبارِها ظاهِرةً اجتِماعِيَّةً، واستِخدامِ الأفرادِ لِهذِهِ اللغةِ. فاللغةُ رُمُوزٌ صَوتِيَّةٌ مُتَّفقٌ علَيها في البيئةِ اللغويَّةِ الواحدةِ، وهيَ حَصِيلةُ الاستِخدامِ المتكرِّرِ لِهذِهِ الرُّموزِ الصَّوتِيَّةِ التي تُؤدِّي المعانيَ المختَلِفةَ. أمَّا الكَلامُ فَهُوَ الكَيفيَّةُ الفَردِيَّةُ لِلاستِخدامِ اللُّغَويِّ.

والمقصُودَ بِوضوحِ النَّصِّ هو الأسلُوبُ الذي يَضمَنُ سُهولةَ وُصُولِ الفِكرةِ دُونَ أنْ يُؤثِّرَ ذلِكَ علَى بناءِ النصِّ الأدبِيِّ، ويَخرُجُ بِهِ مِن لُغةِ الكِتابةِ الأدبِيَّةِ إلى لُغةِ الكلامِ العادِيِّ المتداولِ، حيثُ إنَّ صِياغةَ النصِّ الأدبِيِّ بصورةٍ مُعيَّنةٍ هِيَ التي تُكوِّنُ الإبداعَ الأدبِيَّ فيهِ، وفِي مُقدِّمةِ تِلكَ المقوِّماتِ حالةُ التَّفاعُلُ التي يُثيرُها النصُّ في ذِهنِ القارِئِ، فلِكي تتحقَّقَ حالَةُ التَّفاعُلِ هذِهِ بِالصُّورةِ المطلُوبةِ علَى الكاتِبِ أنْ يُتيحَ لِلقارِئِ فُرصةَ المشاركةِ فِي تَكوينِ الفِكرةِ، واكتِشافِ المعانِي والصُّورةِ المختفيةِ وَراءَ النصِّ. فالمطلوبُ من وُضُوحِ النصِّ أنْ يُفهَمَ، وأنْ يكونَ سَهلَ الأسلوبِ، واضِحَ التراكيبِ، فَصيحَ الكَلامِ، سلِسَ العباراتِ.

ومن الوضُوحِ في النصِّ الأدبِيِّ أنْ تَحكمَهُ علاقاتٌ مَنطِقيَّةٌ بحيثُ تُصبِحُ نتائِجُ ومقدماتٌ مرتَبِطةٌ بِبعضِها بعضاً، فالنصُّ الأدبِيُّ كأنَّه عِقدٌ ممتدٌ لا نَشازَ فيهِ، فقد أُحكِمَتْ أفكارُهُ، وصُفِّيَتْ ألفاظُهُ، وتَأتَّى فِيهِ الكاتِبُ ما وَسِعَهُ التأنِّي، غيرَ مُتزيِّدٍ ولا سَهِبٍ، إلا فِي مَوضِعٍ يحتاجُ إلَى الإسهابِ، فيكونُ ضَرباً مِن الضَّرورةِ، أو التَّبيينِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالنَّصُّ الأدبِيُّ الواضِحُ هو الَّذِي لا يكتفِي بِوصفِ أحاسيسِ الأديبِ إزاءَ الآثارِ الأدبيَّة، بل يُحاوِلُ أنْ يُعلِّلَ هذِهِ الأحاسِيسَ وأنْ يَنتَقِلَ مِن التَّذوُّقِ إلَى التَّعليلِ انتِقالاً يُحلِّلُ في تضاعِيفِهِ الأثرَ الأدبيَّ تحليلاً يُوضِّحُ عناصِرَ جمالِهِ وتأثيرِهِ في النُّفُوسِ. وإذا كانَ التذوُّقُ هُو الأساسُ الذي يَقُومُ علَيهِ النصُّ الأدبِيُّ فإنَّ التَّحلِيلَ هُوَ البِناءُ كلُّهُ أو قُلْ هو البِناءُ، فَكُلُّ ظاهِرةٍ أدبيَّةٍ، أو قَصيدةٍ، أو عَملٍ يُعدُّ بِناء مُستَقِلاً بِذاتِهِ، وهذا ممَّا يَنبَغِي أنْ يَقُومَ علَيه البحثُ الأدبِيُّ الذي يُشترَطُ أنْ يَكُونَ واضِحاً، وتُعرَفَ دَقائِقُهُ مَعرِفةً تامَّة.

فالوُضُوحُ فِي النصِّ الأدبِيِّ هو الَّذِي يُحيلُهُ إلَى عَملٍ مُتكامِلٍ، وبِناءٍ مُتناسِقٍ، يَسُودُ بينَ أجزائِهِ وفِقراتِهِ المنطِقُ والروابِطُ الذِّهنيَّةُ المحكَمةُ، كما تَتَوفَّرُ بينَ أجزائِهِ دِقَّةُ العرضِ، فيكونُ لَهُ بدءٌ واضحٌ، ونهايَةٌ واضِحةٌ، فالتَّنسيقُ بينَ أجزاءِ الكَلامِ ضَرورةٌ، كما أنَّ إتقانَ أدواتِ الرَّبطِ بينَ فِقراتِ النصِّ تزيدُهُ وُضُوحاً، فَكُلُّ كَلِمةٍ وقَولٍ يَكونُ في دوائِرِهِ بِحيثُ لا تَخرُجُ عنه بِحالٍ، وتَتَساوقُ النَّتائِجُ بحيثُ يُسلَّمُ إلَيها دائِماً النصُّ الَّذِي يَسبِقُها، وكأنَّه تَنقادُ إليهِ بأزمَّتِها.

والوُضُوحُ فِي النَّصِّ الأدبِيِّ هو طرِيقُ القِراءةِ، قراءةِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ القَديمةِ، وما نُسِجَ علَى نَمطِها في العُصُورِ المختلِفةِ، قِراءةً واعِيةً، معَ حِفظِ الكثيرِ والكثيرِ من تِلكَ النُّصوصِ، وعلَى رَأسِ هذِهِ النُّصوصِ نَصُّ القُرآنِ الكَريمِ، وفِي هذِهِ الحالةِ تتكوَّنُ الملَكةُ القادِرةُ علَى مُحاكاةِ هذِهِ النُّصوصِ، والنَّسجِ علَى مِنوالِها.

ولَقَد حَثَّ ابنُ خَلدُون علَى تعلُّمِ النصِّ الأدبِيِّ الواَضِحِ، لأنَّهُ بِدورِهِ يَصِلُ بِنا إلى تَعلُّمِ قواعِدِ النَّحو، فَقَالَ: " ووَجهُ التَّعلِيمِ لِمَنْ يَبتَغِي هذِهِ الملَكةَ ويَرُومُ تَحصِيلَها، أنْ يأخُذَ نَفسَهُ بِحفظِ كلامِهِم القَديمِ، الجارِي علَى أساليبِهِم، مِن القُرآنِ والحديثِ، وكَلامِ السَّلَفِ ومخاطَباتِ فُحولِ العَربِ في أسجاعِهِم وأشعارِهِم، وكلِماتِ المولَّدينَ أيضاً فِي سائِرِ فنُونِهِم، حتَّى يَتَنَزَّلَ لِكثرةِ حِفظِهِ لِكلامِهِم من المنظُومِ والمنثُورِ، منزِلةَ مَنْ عاشَ بينَهُم، ولُقِّنَ العِبارةَ مِنهُم "[٤].

[٤] مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ) تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة بالقاهرة، ١٩٧٧م، ص٤٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالنَّصُّ الأدبِيُّ الواضِحُ هُوَ الَّذِي يَتَحقَّقُ فيهِ انتِقاءُ الأَلفاظِ الفَصِيحةِ والمفرداتِ الكريمةِ، وإصابةُ المعانِي، وتَنقِيحُ العباراتِ مع جَودةِ مقاطِعِ الكَلامِ وحُسنِ صَوغِهِ وتأليفِهِ، ومراعاةُ الفَصلِ والوصلِ، واختيارُ ما لانَ مِن الكلامِ وسَهُلَ.

والوُضُوحُ في النصِّ الأدبِيِّ وُضِعَ لِتزيينِ الكَلامِ وتنميقِهِ لِغرضِ أنْ يَتمكَّنَ البليغُ من ذِهنِ السَّامِعِ بِما يُورِدُهُ من رصفٍ مُستَحسَنٍ فيحرِّكُ أَهواءَ النَّفسِ ويُثيرُ كامِنَ حركاتِها، والغرضُ من الوضُوحِ أنْ يكونَ أشدَّ اتِّصالاً بِالعَقلِ وأقربَ للإدراكِ، فيَستَطيعُ المتعلِّمُ إدراكَ قَواعِدِ النَّحو وتعلُّمِها.

٣-الاستقراء:

ما مِنْ شكٍّ أنَّ استِقراءَ النَّصَّ العربيَّ كامِلاً فِي قرنٍ واحدٍ أو قرنَينِ أمرٌ فِي غايةِ الصُّعوبةِ، ولا سِيَّما فِي تِلكَ الحِقبةِ الزمنيَّةِ، ومردُّ ذلِكَ هُوَ أنَّ العَربَ مُنتَشِرُونَ فِي أَنحاءِ شِبهِ جزيرةِ العَربِ، وأنَّهُم يَعيشُونَ قبائِلَ وأفخاذاً تَنتقِلُ مِن مَكانٍ إلَى آخرَ، ولَيسَ في حياتِهِم مِن الحَضارةِ ما يُمكِّنُهُم مِن تَدوينِ نُصُوصِ لُغتِهِم تَدوِيناً يُفيدُ اللُّغويَّ فِي عَمليةِ الاستِقراءِ.

وأمَّا القرآنُ الكريمُ النَّصُّ الأدبِيُّ الفَصِيحُ العالِي فهو ذُخرٌ لُغَويٌّ لا يُضاهِيهِ نَصٌّ آخرُ، ولا يَعدِلُه فَصاحةً وبياناً وبلاغَةً وإحكَاماً، فقدِ اعتَمدَ علَيهِ اللُّغويُونَ اعتِماداً كَبيراً فِي عَمليَّةِ الاستِقراءِ، وكَما يَقُولُ أستاذُنا الدكتور محمد خير الحلواني، رحِمَهُ اللهُ: " لكنَّهُ إلى ذلِكَ لم يَجمعْ ظواهِرَ العربِيَّةِ كلّها، ولا بُدَّ من أنْ يكونَ بِجانِبِهِ نُصُوصٌ أخرى"[٥].

وأمَّا الشِّعرُ فقد ضَاعَ أكثَرُهُ، لأنَّ حَمَلَتَهُ من فُصَحاءِ العَربِ خَرَجُوا لِلجِهادِ، وقُتِلَ مِنهُم مَنْ قُتِلَ، فلمَّا استَقَرَّتِ الأمُورُ عادَ مَنْ عادَ مِنهُم إلَى الشِّعرِ، فلم يَجِدْهُ مُدوَّناً فِي دِيوانٍ، ولا مَكتُوباً في كِتابٍ، فَذَهَبَ مِنهُ شَيءٌ كَثيرٌ، وقد أَدرَكَ عُلماءُ النَّحوِ الأوائِلُ قلَّةَ ما آلَ إلَيهِم مِن نُصُوصِ الشِّعرِ، فقالَ أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ): " ما انتَهَى إلَيكُم ممَّا قالَتْهُ العَربُ إلا أقلُّهُ، ولو جاءَكُم وافِراً لَجاءَكُم عِلمٌ وشِعرٌ كَثيرٌ".[٦]

---

[٥] أصول النحو العربي: د.محمد خير الحلواني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١١م، ص٨٠.

[٦] طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٢م، ص ٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَد قامَ النَّحويُونَ بِجُهدٍ عِظيمٍ يُذكرُ لَهُم في تاريخِ الدَّرسِ النَّحويِّ، فقد جَمَعُوا مُعظَمَ ما يُمكِنُ جَمعُهُ، وألمُوا بِلَهَجاتِ القبائِلِ، واستَنبَطُوا جُلَّ قَواعِدِ النَّحوِ، حتَّى إنَّهُم لم يترُكُوا لِمَنْ جاءَ بَعدَهُم فِي القَرنينِ الثَّالِثِ والرَّابِعِ الهِجرِيَّنِ وما تَلاهُما شَيئاً يُذكَرُ.

والحقيقةُ أنَّ الاستِقراءَ عَملٌ يَحكُمُهُ الزَّمنُ فَيَبدَأُ بَسِيطاً ثُمَّ يَتَّسِعُ ويَشتَدُّ عُودُهُ إلَى أَنْ يُؤتِيَ أُكُلَهُ فِي وَقتٍ مُتأخِّرٍ. لِذلِكَ نَرى أنَّ النَّصَّ الأدبيَّ جرَى علَيهِ الاستِقراءُ في أيَّامِ عبدِ اللهِ بنِ أبِي إسحاقَ الحَضرميِّ (ت١١٧هـ) وعيسى بنِ عُمرَ (ت١٤٩هـ)، وأبِي عمرِو بنِ العلاءِ (ت١٥٤هـ) دُونَ النصِّ الذي أصابَهُ يونسُ بن حبيب (١٨٢هـ)، وسيبويه (١٨٠هـ)، وهذا أيضاً أقلُّ ما أصابَهُ أبو عليٍّ الفارسي (ت٣٧٧هـ)، وأبو العباس المبرِّد (ت٢٨٥هـ) وتلميذه ابن جنيّ (ت٣٩٢هـ)، لِمَ؟ لأنَّ المتأخِرينَ يَقِفُونَ دائِماً علَى استِقراءِ المتقدِّمينَ، ويَصِفُّونَ ما جمَعتْهُ الرِّواياتُ، أو دَوَّنَتْهُ الدَّواوينُ.

ومِن الأمثلةِ التي تُساقُ على الاستِقراءِ الناقِصِ ما ذُكِرَ عن أبي عمرو بن العلاء-علَى الرُّغمِ من كَثرةِ الروايةِ التي كانَ يَسوقُها، وكثرةِ الشِّعرِ الجاهِلِيِّ الذي تَجمَّعَ لَدَيهِ-أنَّه كانَ يَجهَلُ بَعضَ الألفاظِ اللغويَّةِ التي تنتَمِي إلَى لُغةِ قبيلةٍ عربيَّة، رَواها مَنْ هُو أقلُّ منهُ رِوايةً ودِرايةً كابنِ أبي إسحاق الحضرمي، من ذلِكَ أنَّه كانَ يُنكِرُ قِراءةَ: (ولا تَقرَبا هذِهِ الشَّجرَةَ)[٧].فهو يرى أنَّها مِن لُغةِ بَرابرةِ مكَّةَ وسُودانِها، علَى حينِ أنَّها مِن لُغةِ بَنِي سُليمٍ، كما يَرَى الحضرمي[٨].

وكانَ سِيبويهِ وشيوخُهُ قبلَهُ لا يَعرِفونَ " حاشا" إلا حرفاً جارّاً، مثل " حتَّى " ولهذا مَنَعُوا أنْ تَدخُلَ علَيها " ما " المصدرية، فقالَ سيبويه: " ألا ترى أنَّكَ لو قُلْتَ أتَونِي ما حاشا زيداً، لم يَكُنْ كلاماً " فكأنَّهُ لم يقفْ على قولِ الأخطل: (من الوافر)

رَأَيْتُ النَّاسَ ما حَاشَا قُرِيشاً = فإنَّا نَحنُ أَفضَلُهُم فِعَالَا

---

[٧] الآية ٣٥ من سورة البقرة.

[٨] المحتسب في شواذ القراءات: لأبي الفتح بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حفني ناصف، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، ١٩٦٦م-١٣٨٦هـ، ١: ٧٣-٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولهذا أجازَ المتأخِرونَ دُخُولَ " ما " علَى " حاشا " اعتِماداً علَى بَيتِ الأخطلِ هذا، واستناداً إلى قولِ النبيِّ –صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم: " أُسامةُ أحبُّ النَّاسِ إلَيَّ ما حاشا فاطِمةَ "[٩].

والوَاقِعُ أنَّ ضَعفَ الاستِقراءِ هو السَّببُ في اختِلافِ النُّحاةِ قَدِيماً، فقد أَنكَرَ بَعضُهُم ظاهِرةً ما في النَّصِّ المنقولِ إلَيهِ، وأجازَها غَيرُهُم، لأنَّ المتقدِّمَ لم يَسمَعْ ما سَمِعَ المتَأخِّرُ، ولأنَّ المتقدِّمَ اعتَقدَ أنَّهُ قَليلٌ، في حين اعتَقدَ المتأخِّرُ أنَّه وَقَعَ علَى كثيرٍ مِنهُ فقَاسَ علَيهِ وبَنَى قَواعِدَهُ النَّحويَّةَ علَى هذا الأَساسِ.

نَخلُصُ ممَّا تَقدَّمَ إلى أنَّ استِقراءَ النَّصِّ الأدبيِّ كانَ حاضِراً في أذهانِ النُّحاةِ كاملاً وناضِجاً، ولا يُقلِّلُ من شأنِهِم أنَّهُم لم يُحيطُوا بِكُلِّ شَيءٍ، أو أنَّهُم أخلُّوا بِبعضِ ما صارَ إلَيهِ عِلمُ اللُّغةِ المعاصِرِ، لأنَّ القَومَ عاشُوا في زمنٍ غيرِ زَمانِنا.

الفصل الثاني

أَنواعُ النِّصِّ العربِيِّ

١–القُرآنُ الكرِيمُ

اتَّصلَ الدِّينُ الإسلاميُّ باللُّغةِ العربِيَّةِ اتِّصالاً وَثيقاً في العصُورِ الإسلامِيَّةِ جميعاً، وكانَ الباعِثُ علَى اهتِمامِ عُلماءِ اللُّغةِ بِجمعِ الشَّواهِدِ، وتَقعيدِ القَواعِدِ النَّحويَّةِ، باعثاً دِينيَّاً، وهُوَ ضَبطُ نُصُوصِ القُرآنِ الكرِيمِ، وتَعلِيمُ الطُّلَّابِ لُغةَ العَربِ لُغةَ القرآنِ، " وكانَتْ مناهِجُ التعلِيمِ تَمزُجُ بينَ المعارِفِ الدينيَّةِ واللغويَّةِ، في الكَتاتِيبِ وحَلَقاتِ المساجِدِ، والمجتَمعاتِ، ثم في المدارِسِ المنتَظَمةِ، وغالباً ما يَكونُ اللُّغويُّ رَجُلَ دينٍ، وما عَهِدْنا عالِماً مِن عُلماءِ اللُّغةِ القُدامَى، إلا كانَ مُقرِئاً، أو مُفسِّراً، أو أُصُولِيَّاً، أو مُحدِّثاً، أو مُتمكِّناً، أو فقيهاً "[١٠].

وكانَ هذا الأمرُ واضِحاً في نَظَرِ المستَشرِقِينَ فقد رأى نولدكه مثلاً: " أنَّ العربِيَّةَ لم تَصِرْ لُغةً عالميَّة حقَّاً، إلا بِسَبَبِ القُرآنِ والإسلامِ، إذ تَحتَ قِيادةِ قُرَيش، فَتَحَ البَدوُ سكَّانُ الصَّحراءِ نِصفَ العالَمِ لَهُم وللإيمانِ،

---

[٩] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبدالله بن عقيل الهمداني (ت٧٦٩هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م. ٢: ٥٦٥.

[١٠] المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية: عبدالمجيد عابدين، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٠٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبِهذا صارَتِ العربيَّةُ لُغةً مُقَدَّسةً كذلِكَ"[١١].فَأجهَدَ العُلَماءُ أنفُسَهُم في دِراسَتِها، واستِكناهِ أسرارِها، ليَقِفُوا علَى مواطِنِ الإعجازِ في كِتابِ اللهِ العَظيمِ.

وقد شَعَرَ عُلماءُ العربيَّةِ مُنذُ القَرنِ الهِجريِّ الأوَّلِ بِحاجَتِهِم إلَى تَعلُّمِ العربيَّةِ ومَعرفةِ قَواعِدِها، فاستَعانُوا بِالشِّعرِ، في فَتحِ مَغالِيقِ الألفاظِ، والأساليبِ الغريبةِ الواردةِ في القُرآنِ الكريمِ، والأحاديثِ النَّبويَّةِ، فأكبُّوا علَيهِ يَروُونَهُ، ويَحفَظُونَهُ، ويَدرُسُونَ أساليبَهُ ومعانِيَهُ، وما يَدُورُ فيهِ مِن ذِكرٍ لأيَّامِ العرَبِ ووقائِعِهِم.

وكانَتْ دِراسةُ القُرآنِ الكريمِ مِن دَواعِي العِنايةِ بِالشِّعرِ واللُّغةِ، كما كانَتْ أحدَ الأسبابِ الَّتي أسهَمَتْ في نَشأةِ المعاجِمِ العربيَّةِ، والنَّحو الَّذِي بُنِيَ علَى شَواهِدِ القُرآنِ ومَسائِلِهِ، ومِن هنا نَجِدُ أنَّ الغَيرَةَ على القُرآنِ الكرِيمِ، وصَونِهِ من التَّحريفِ علَى ألسِنةِ الأعاجِمِ، كانَتِ السَّبَبَ في وَضعِ قَواعِدِهِ، وتَروِي لَنا الأخبارُ أنَّ أبا الأسود الدؤلِيَّ (ت٦٩هـ)كانَ أوَّلَ مَنْ وَضَعَ النَّحو، والسَّبَبُ في ذلِكَ أنَّهُ سَمِعَ قارِئاً يَقرَأُ: (أنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِن المشرِكِينَ ورَسُولُهُ)[١٢]، بِكسرِ اللَّامِ مِن " رسولِهِ "، فَغَضِبَ لِذلِكَ، وكانَ هذا حافِزاً لَهُ علَى وَضعِ مَبادِئِ النَّحو[١٣].

وهكذا نَرَى أنَّ القُرآنَ الكرِيمَ كانَ مِحوراً لِجميعِ الدِّراساتِ العربيَّةِ التي قامَتْ علَى هذا الأساسِ لِخدمتِهِ، ومِن بينِها الدِّراساتُ النَّحويَّة، ولولاه لاندَثَرَتْ العَربيَّةُ الفُصحَى، ولَأَضحَتْ كاللَّاتِينيَّةِ والسَّنسِكريتيَّة، ولَقَد بيَّنَ العلَّامة ابنُ خلدون (ت٨٠٨هـ) ذلِك بِقولِهِ: "تَختَلِفُ لُغةُ العربِ لِعهدِنا مع لُغةِ مُضَرَ، إلا أنَّ العنايَةَ بِلِسانِ مُضَرَ مِن أجلِ الشَّرِيعةِ كما قلْنا يَحمِلُ علَى الاستِنباطِ والاستِقراءِ، ولَيسَ عِندَنا لِهذا العَهدِ، ما يَحمِلُنا علَى مِثلِ ذلِكَ، ويَدعُونا إلَيهِ"[١٤].

ومَعلُومٌ أنَّ الهدَفَ الأساسَ من الاستشهادِ في النَّحو هُوَ بِناءُ القَواعِدِ، وتَأصِيلُ المسائِلِ النَّحويَّة، وبيانُ أصلِها اللُّغويِّ، وهذا ما أكثرَ منهُ سيبويه (ت١٨٠هـ)، سالِكاً مَنهجَ الأخذِ بِالأكثرِ، والقياسِ علَيهِ، فقد ذَهَبَ

---

[١١] اللغات السامية: نولدكه، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٧٩.

[١٢] الآية ٣ من سورة التوبة.

[١٣] أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد السيرافي (٣٨٦هـ)، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ص١٢.

[١٤] المقدمة: لابن خلدون ص٦١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُحلِّلُ الآياتِ، ويُبيِّنُ معانيَها، ويَحمِلُها علَى أَشرفِ المعاني، وأرفعِ الأساليبِ،وسآتي على موضِعينِ فقط مِن مواضِعِ استِشهادِهِ بِالقُرآنِ الكريمِ.

ففي قولِهِ تعالى: (وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِما لا يَسمَعُ إلا دُعاءً ونِداءً)[١٥]يتكلَّمُ عن الحَذْفِ عِندَ العربِ، فقد حُذِفَ فِيها شَيءٌ لِلعِلمِ بِهِ، وهُوَ مَفهُومٌ مِن السِّياقِ، وقد عَدَّهُ اتِّساعاً، ثمَّ قالَ: " ومَثَلُهُ في الاتِّساعِ قولُهُ عزَّ وجلَّ: (وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا...) فلم يُشَبِّهوا بِما يَنعِقُ، وإنَّما شُبِّهوا بِالمنعُوقِ بِهِ. وإنَّما المعنَى: مَثَلُكُم ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّاعِقِ والمنعُوقِ بِهِ الَّذِي لا يَسمَعُ. ولَكِنَّهُ جاءَ علَى سَعةِ الكلامِ والإيجازِ لِعِلمِ المخاطَبِ بِالمعنَى"[١٦].

وفِي مَوضِعٍ آخرَ قالَ سيبويهِ: " ومَثَلُ الرَّفعِ: (طُوبَى لَهُم وَحُسنُ مَآبٍ)[١٧]، يَدلُّكَ على رَفعِها، رَفعُ " حُسْنُ مَآب ". وأمَّا قَولُهُ تعالَى جدُّهُ: (وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِبينَ)[١٨]و(وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُطفِفِينَ)[١٩]، فإنَّه يَنبغِي أنْ نَقُولَ: إنَّهُ دعاءٌ ها هنا، لأنَّ الكلامَ بِذلِكَ، واللَّفظُ بِهِ قَبيحٌ، ولكنَّ العِبادَ كُلِّمُوا بِكلامِهِم، وجاءَ القُرآنُ علَى لُغَتِهِم وما يَعنُونَ، فكأنَّهُ -واللهُ أعلَمُ- قِيلَ لَهُم: (وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ) و(وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُطفِفِينَ)، أي: هؤلاءِ مِمَّن وَجَبَ هذا القَولُ لَهُم، لأنَّ هذا الكلامَ إنَّما يُقالُ لِصاحِبِ الشَّرِّ والهَلَكةِ، ووجَبَ لَهُم هذا "[٢٠].

فهذانِ نَمُوذَجانِ مِن النَّصِّ القرآنيِّ جاءَ بِهِما سيبويه، وفيهِما حَمْلُ كَلامِ الله-سُبحانَهُ- علَى مُقتَضَى كلامِ العَربِ ولُغتِهِم، ومَعرفةِ أسلوبِ الكِتابِ العزيزِ، فَهُوَ يُخاطِبُ العَربَ بِطَريقتِهِم فِي التَّعبيرِ، فَجَمَعَ بَينَ عُمقِ التَّحليلِ، وسَعةِ الرِّوايةِ، فَحَمَلَ إلَينا البِذرةَ الأُولى لِتفسِيرِ النَّصِّ القرآنيِّ وفَهمِهِ، بِناءً علَى قَواعِدِ النَّحو الَّتِي أَخَذَتْ مِنهُ مادَّتَها.

---

[١٥] الآية١٧١ من سورة البقرة.

[١٦] الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ١: ٢١٢.

[١٧] الآية ٢٩ من سورة الرعد.

[١٨] الآية ١٥ من سورة المرسلات.

[١٩] الآية ١ من سورة المطففين.

[٢٠] الكتاب ١: ٣٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما مِن شَكٍّ أنَّ القَواعِدَ النَّحويَّة أخذَتْ شواهِدَها مِن القُرآنِ الكريمِ، كما كانَتْ لخِدمتِهِ، لأنَّهُ أعلَى النُّصُوصِ فَصاحةً وبياناً وبَلاغةً وإعجازاً، كيفَ لا وهُوَ كِتابُ اللهِ المحكَمُ آياتُهُ، وقد قالَ أبُو البقاءِ العُكبرِي (ت٦١٦هـ): " فأوَّلُ مَبدُوءٍ بِهِ مِن ذلِكَ تلَقُّفُ ألفاظِهِ عن حُفَّظِهِ، ثمَّ تَلَّقِي مَعانِيهِ مِمَّنْ يُعانِيهِ، وأَقومُ طَرِيقٍ يُسلَكُ فِي الوُقُوفِ علَى مَعناهُ، ويُتَوصَّلُ بِهِ إلَى تَبيُّنِ أغراضِهِ ومَغزاهُ، مَعرفةُ إعرابِهِ واشتِقاقُ مَقاصِدِهِ مِن أنحاءِ خُطَّابِهِ، والنَّظرُ فِي وُجُوهِ القِراءاتِ المنقُولةِ عنِ الأئِمةِ الأَثباتِ"[٢١].

٢-الحديث النبوي الشريف:

نَالَ مَوضُوعُ الاستِشهادِ بِالحدِيثِ الشريفِ اهتِماماً كبِيراً مِن الباحثينَ المعاصِرِينَ، وأُفرِدَتْ لَهُ بُحوثٌ ومَقالاتٌ علَى نحوٍ يَجعلُنا فِي غَيرِ حَاجةٍ إلَى التَّكرارِ أو تَلخيصِ ما قِيلَ فِي هذا الموضُوعِ، وما يَهُمُّنا هنا بِصورة أساسيَّةٍ هو أنَّ الحديثَ يأتِي فِي المرتبةِ الثانيةِ بعدَ القُرآنِ فِي الاحتِجاجِ بِهِ.

وكانَ الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ مَصدراً مِن مَصادِرِ النُّحاةِ يَتَفيؤُونَ ظِلالَهُ، ويَبحثُونَ فِي ثنايا سُطورِهِ وكلماتِهِ، ويَتناولُونَ القَواعِدَ النَّحويَّة لِدراسة ما فِيهِ، لأنَّ الحديثَ النَّبويَّ الشَّريفَ مادَّةٌ خِصبةٌ ونبعٌ فيَّاضٌ ومَيدانٌ واسِعٌ بِكرٌ فِي الدِّراساتِ النَّحويَّةِ.

ويُعدُّ الحديثُ النبويُّ الشريفُ المصدرَ الثانِي مِن مصادرِ التشريعِ، وقد نَهَضَتْ دِراساتٌ كَثيرةٌ تَتناوَلُ الجوانِبَ الفِقهيَّةَ والشَّرعِيَّةَ فيهِ. أمَّا الدِّراساتُ النَّحويَّةُ فقد كانَتْ قَليلةً قِياساً بِالدِراساتِ النَّحويَّةِ فِي القُرآنِ الكَريمِ، لكِنَّ ذلِكَ لم يُقلِّلْ مِن قِيمةِ النَّصِّ الحدِيثيِّ فِي الدِّراسةِ والقَواعِدِ النَّحويَّةِ أبداً.

وحَظِيَ الحديثُ النَّبويُّ الشريفُ بالدراسةِ والبَحثِ، فمِن الجُهودِ النحويَّةِ فِي إعرابِ الحدِيثِ الشَّريفِ ما قدَّمَهُ العُكبُريُّ (ت ٦١٦ هـ) فِي كتابِهِ: "إعراب الحديث النبوي" فقد تناولَ "جامع المسانيد" للحافظ أبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

[٢١] التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦، ١: ١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهنا نَقُولُ إنَّ لُغةَ الحَديثِ النَّبويِّ سواءٌ نُقِلَ بِاللفظِ أو بِالمعنَى إنَّما يُمثِّلُ اللُّغةَ الفُصحَى، تِلكَ المنسُوبةِ إلَى عَصرِ الاحتِجاجِ، وهِيَ الَّتي يُحكَمُ بِأنَّها أَرفَعُ مُستوى وَصَلَتْ إلَيهِ العربيّةُ وأكثرُها تَصرُّفاً، وأَعظمُها قُدرةً، وأوسعُها إحاطةً، وأعمقُها دِقَّة، وأهدَاها علَى نَهجِ التَّعبيرِ سَبِيلاً، حَسبُها أنَّها وَسِعَتْ كَلامَ اللهِ تَعالَى، وكَلامَ رَسُولِهِ الكَرِيمِ، وما دارَ حولَهُما مِن بُحُوثٍ ودِراساتٍ وما صَحِبَ ذلِكَ من آراءٍ أَغنَتِ اللُّغةَ وقواعِدَها، ونبَّهتِ الدَّارِسِينَ، وفَتَحَتْ أمامَهُم مَجالاتٍ خِصبةً فِي الدَّرسِ القَديمِ والمعاصِرِ.

ونُؤَكِّدُ أنَّ هذِهِ اللغةَ الفُصحَى الَّتِي بَنَى العَربُ قواعِدَهُم علَيها إنَّما كانَتْ تُمثِّلُ لُغةَ الثَّقافةِ والعِلمِ بِمُختَلَفِ أنواعِهِ والأدبِ شِعرِهِ ونَثرِهِ.

وأمَّا العُلمَاءُ المعاصِرُونَ فقد دافَعُوا عَن مَوقِفِهِم مِن الاستِشهادِ بِالحَديثِ النَّبويِّ الشَّريفِ وعدُّوه مادَّة خِصبةً لِلدِّراساتِ اللُّغويَّةِ والنَّحويَّةِ، ومِنْ هؤلاءِ الشيخ محمد الخضر حسين في كتابِهِ "دراسات في العربية وتاريخها"، وكذلك فعل الأستاذ سعيد الأفغاني (ت ١٤١٧ هـ) في "أصول النحو"، ود. مهدي المخزومي في كتابه "مدرسة الكوفة" الَّذِي رَأَى فيهِ أنَّ النُّحاةَ الَّذينَ لم يحتَجُّوا بالحديثِ الشريفِ ضَيَّعُوا قِسماً كبيراً مِن مصادرِ لُغةِ العربِ. وقد ناقش طه الراوي في كتابه "نظرات في اللغة والنحو" آراءَ المانعينَ من الاحتِجاجِ بالحديثِ الشريفِ، وفنَّدَ حُجَجَهُم، وفعل فِعلَهُ أحمد كحيل في رسالته " النحو في الأندلس" حيث تحدَّثَ عن اهتمامِ الأندلسيينَ أيضاً بالحديثِ الشريفِ والاستشهادِ بِهِ.

وكانَ المحدِّثونَ علَى صِلةٍ وثيقةٍ بعلمِ النحو واللغةِ، فالحديثُ النبويُّ رُوِيَ بهذهِ اللغةِ، وللُّغةِ قَواعِدُ وضَوابِطُ بيَّنَها النُّحاةُ، ولَيسَتِ الرِّوايةُ في الحديثِ أمراً سهلاً، فقد كانَ الصحابةُ – رضوان الله عليهم– والَّذينَ رَوَوا عنهُم يَتشدَّدونَ في روايةِ الحديثِ، فلا يقولُ القائِلُ منهم: قالَ رسول الله– صلَّى اللهُ علَيهِ وسَلَّمَ– إلا وهُوَ عالِمٌ مُتيِّقنٌ ممَّا يَروي، لأنَّه يُدركُ تماماً ما معنى هذِهِ الكلماتِ، فقد قال النبي، عليه الصلاة والسلام: (مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً فَلْيَتبوَّأْ مَقعَدَهُ مِن النَّارِ) (٢٢).

(٢٢)صحيح مسلم: مسلم أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت٢١٦)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعِلمُ النَّحوِ علمٌ مُتمِّمٌ وضَرُوريٌّ وهامٌّ، وهو علَى درجةٍ عظيمةٍ لدارسِي الحديثِ ورواتِهِ، فقد رُوِيَ عن شُعبةَ ابنِ الحجَّاجِ (ت ١٦٠هـ) وهو أَحَدُ علماءِ الحديثِ ونقَّادِهِ قولُهُ: "مَنْ طَلَبَ الحَديثَ، ولم يُبصَّرِ العربيَّةَ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ علَيهِ بُرنسٌ، ليسَ لهُ رأسٌ"[٢٣].

ونَجِدُ كَلاماً مُشابِهاً لهذا المعنَى عِندَ حماد بن سَلَمةَ (ت ١٦٧ هـ): "مَثَلُ الَّذِي يَطلُبُ الحدِيثَ ولا يَعرِفُ النَّحوَ مَثَلُ الحِمارِ علَيهِ مِخلاةٌ لا شَعيرَ فيها"[٢٤].

ومَنْ يَطَّلِعُ علَى كُتُبِ تراجمِ المحدِّثينَ والنُّحاةِ يجدُ مدى التَّرابُطِ الوثيقِ والقرابةِ والتلاؤمِ بينَ عِلمَي الحديثِ والنَّحو، والفائِدةِ المتبادلة بينَهُما، فكم انتقلَ العلماءُ بينَ حلقاتِ الحديث والنحو، فقصة سيبويه (ت١٨٠هـ) إمامِ النُّحاةِ معروفة، فقد تَتَلمَذَ علَى حمادِ بنِ سَلَمةَ شيخِهِ في الحديثِ.

وهكذا سارَ الاحتِجاجُ بِنصِّ الحَديثِ فِي القُرونِ الأولَى سَيراً بَطيئاً، ولكنَّهُ لم يَكُنْ كثيراً، بل بَقِيَ حتَّى القَرنِ السَّادِسِ في المشرقِ كما كانَ في القُرُونِ الأولَى، إلا أنَّ نُحاةَ الأندلسِ كانُوا أوَّلَ مَنِ احتَجَّ بِالحديثِ، وكانَ ابنُ مالِك (ت٦٧٢هـ) أكثرَ هؤلاءِ حَمَاسَةً، إذْ جَعَلَ مِن ظَواهِرِ الحَديثِ النَّبويِّ اللُّغويَّةِ مادَّةً يَتَعقَّبُ بِها القُدماءَ، ويَتَّهِمُهُم بِقِلَّةِ الاستِقراءِ، والجَدِيدُ فِي هذِهِ المرحلةِ أنَّ النُّحاةَ أَخَذُوا نَصَّهم الحَديثيِّ الأدبِيِّ مِن كُتبِ الصِّحاحِ.

٣-لغة الشعر:

إنَّ المهِمَّ عِندَ النَّحويينَ في استِقرائِهِم لِلغةِ العربِ هو توثِيقُها والتأكُّدُ من صِحَّةِ نقلِها وفَصاحتِها، وقد تأتَّى لَهُم ذلِكَ من خلالِ مصدرَيْنِ اثنينِ.

أوَّلُهما: العربُ الفُصحاءُ. **وثانِيهِما:** الرُّواةُ الثِّقاتُ عنِ الأعرابِ.

---

[٢٣]مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٣)، نشره محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٩٣م، ص ١٦٥.

[٢٤] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، ١٩٥٩م، ص ٣١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأمَّا المصدَرُ الأوَّل فَهُم الَّذِينَ يَعيشُونَ فِي بَوادِي نجد والحِجازِ وتِهامة مَنبَعِ الشِّعرِ، ودِيوانِهِ الموثُوقِ بِهِ، وهؤلاءِ العربُ حَمَلُوا علَى ألسِنَتِهِم عزَّ قَصائِدِ شُعرائِهِم، وأنشَدُوها فِي الحَواضِرِ، وحينَ تحوَّلَ المجتَمعُ الإسلامِيُّ إلى حفظِ اللغةِ ومنها الشِّعرُ، وبَدَؤُوا بِتَقعيدِ قَواعِدِ النَّحو واستِنباطِ الأحكامِ أصبَحَ الأعرابُ مَصدراً أصيلاً للشِّعر العربيِّ الفصِيحِ.

وكانَ النُّحاةُ وأهلُ اللُّغةِ يُحَكِّمونَ الأعرابَ الفُصحاءَ فيما اختلَفوا فيهِ من الشِّعرِ، وهناك كثيرٌ من الشَّواهِدِ التي تَنَاقَلَتْها كُتُبُ التُّراثِ. ومن أجلِ ذلِكَ نرى سيبويه يعتَمِدُ في توثيقه للشواهِدِ النَّحويَّة علَى النَّقلِ مِن الفُصحاءِ، فَيُشِيرُ فِي كِتابِهِ أنَّه سَمِعَ من الأعرابِ الفُصَحاءِ، أو ممَّن يُحتجُّ بِعربِيَّتِهِ، فيَأتِي بِصيغٍ مُختلِفةٍ جَميعها تَدلُّ علَى فَصاحةِ مَنْ نَقَلَ عَنهُم، وبِصِحَّةِ ما نَقَلَ.

وكانَ النَّحويونَ يعتَمِدُونَ إلى جانِبِ المصدرِ الأوَّلِ مَصدراً آخر هو روايةُ الشُّيوخِ عنِ الأعرابِ، فقد كانَ سيبويه يَنقُلُ عن شيخِهِ الخليل، وعن أبي الخطَّاب، ويونس وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وكانَ الفراء (ت٢٠٧هـ) ينقل أيضاً عن المفضل الضبيِّ، والكِسائيِّ (ت١٨٩هـ)، ويونس بن حبيب، وهؤلاء ثقاتٌ نقلُوا عنِ الأعرابِ الموثوقِ بِهِم فِي الفصاحةِ والبيانِ.

وتأتِي الشَّواهِدُ الشعريَّةُ التي احتجَّ بِها سيبويه في المرتبةِ الأولى من تاريخِ النَّحو وتقعيدِهِ، ومرَدُّ ذلِكَ أنَّ كتابَهُ أصبحَ مَرجِعاً للنُّحاةِ ودارسِي العربيَّةِ علَى مرِّ العصُورِ، فقد تَتَلمَذَ علَيهِ أعلامُهُم من بصريينَ وكوفيينَ، ومَنْ جاءَ بعدَهُم إلى عصرِنا الحاضِرِ.

وعاصَرَ سيبويه عالمين جليلين هما الكسائيُّ وتلميذه الفرَّاء الكُوفيَّانِ، وكانَ لَهما من شَواهِدِ الشِّعرِ الفصيحِةِ ما سارَ في كُتُبِ النَّحو المتأخرةِ، فهيَ لا تختلِفُ عن الشَّواهِدِ التي ساقَها سيبويه من حيثُ الفَصاحةُ والعنايةُ بِالبَداوةِ، ويَظهَرُ لنا ذلِكَ جليَّاً من كُتُبِهِم كـ " معاني القرآن " للفرَّاء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤-لُغةُ النَّثرِ:

إنَّ كلامَ العربِ الفُصحاءِ يُعدُّ مَصدراً مِن مَصادرِ الاحتِجاجِ فقد استَقرأَهُ أهلُ اللغة والنَّحو، وسَعَوا إلَيهِ فِي مَوطنهِ بِالباديةِ عِندَ القبائِلِ العربيَّةِ، أو التقَوا بِأهلِهِ في الحواضِرِ ونقلُوهُ بأمانةٍ وصِدقٍ، وصحَّحُوا الشَّواهِدَ الكثيرةَ مِن هؤلاءِ الأعرابِ.

وكانتِ القبائِلُ التي تعيشُ في وسطِ الجزيرةِ العربيةِ وبوادِيها محطَّ عنايةِ النَّحويينَ واللُّغويينَ لما لها من فصاحةٍ وبيانٍ، ولا سيَّما تميم، وأسد وطيء وقيس، وهُذَيل، وسُليم وغيرها. وكانوا يَصِدُّونَ عن غسانَ وتغلب وأمثالها ممَّن عاشُوا في أطرافِ العراقِ مجاورينَ للفرسِ وفي الشَّامِ مُجاورينَ للرُّومِ.

وكانَ النَّحويُونَ يُحيطونَ إحاطةً تامَّةً بِما في تِلكَ البيئاتِ المختلفةِ مِن أعرافٍ لُغويَّة، فأهلُ الباديةِ يَتَمسَّكونَ بِلُغاتِهِم، وقلَّما يَدَعُونَها إلى غيرِها، وأهلُ الحاضِرةِ يتأثَّرُونَ بِكلِّ جَديدٍ، ومِن هنا رأينا ابن جني(ت٣٩٢هـ) يقولُ ما قالَهُ الأخفش قبله: " ولَيسَ أحدٌ من العربِ الفُصحاءِ إلا يقول: إنَّه يحكِي كلامَ أبيهِ وسَلَفِهِ، يَتَوارثُونَهُ آخراً عن أوَّلَ، وتابِعٍ عن متبوعٍ، وليسَ كذلِكَ أهلُ الحضرِ، لأنَّهُم يتظاهرُونَ بينَهم بِأنَّهُم قد تَرَكُوا وخالَفُوا كَلامَ مَنْ يَنتَسِبُ إلَى اللُّغةِ العربيَّةِ الفَصيحةِ "[٢٥].

[٢٥] الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٢م، ٢ ٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المَبحَثُ الثَّالِثُ

القَواعِدُ النَّحويَّة

١–وظيفة القواعد

وتَنبُعُ أهميةُ القَواعِدِ النَّحويّةِ من كونِها تُعلِّمُ اللُّغةَ العربيَّةَ وتُمهِّدُ لها الطَّرِيقَ، ولا بُدَّ حينَ تَعلِيمِ العربيَّة بِنصوصٍ أدبيَّةٍ فَصِيحةٍ مِن تَعلُّمِ قَواعِدِها، فهِيَ كما يَرَى الثعالبيُّ (ت٤٢٩هـ): " خيرُ اللُّغاتِ والألسِنةِ، والإقبالُ علَى تَفهُّمِها من الدِّيانةِ، إذ هِيَ أداةُ العِلمِ ومفتاحُ التَّفقُّهِ فِي الدِّينِ"[٢٦]. فتعليمُ القَواعِدِ يعني أنَّ هذِهِ الدِّراسةَ أداةٌ من أدواتِ فَهمِ نُصُوصِ القرآنِ والحدِيثِ، وبِتعليمِ قواعِدِ النَّحوِ نَكُونُ قد تَعلَّمنا أكثرَ علومِ القُرآنِ والسنَّةِ.

إنَّ وظيفةَ النَّحوِ هُوَ بيانُ قَواعدِ اللغةِ من خلالِ النصوصِ وضَبطِها، وغايتُهُ غَرسُ المقدرةِ علَى التمكُّنِ مِنها، فَهماً لأساليبِها، وتَعبيراً بِها، ومُقتَضى ذلِكَ أنَّ تَعليمَ النَّحو مِن هذِهِ النُّصوصِ الفَصيحةِ ليسَ غايةً لذاتِها، بل وَسيلة لغاياتٍ أخرى غيرَها. والمعلومُ أنَّ وظيفةَ العِلمِ وغاياتِه يُمكنُ أنْ تتطوَّرَ بتطوُّرِ مجالاتِهِ وتتغيَّرُ علاقاتُهُ بِتفرُّعِ أجناسِهِ.

إنَّ وظيفة القواعِدِ النحويَّة هِي دِراسةُ مُستوًى بِعينِهِ مِن مُستوياتِ اللُّغةِ، ومَعرفةِ نُظمِهِ وضَوابِطِهِ، وصِياغةِ هذِهِ النُّظمِ والضَّوابِطِ فِي صورةِ قواعدَ كليَّةٍ تُستَخلَصُ ممَّا كانَ من نُصوصٍ فَصيحةٍ، وتَبنِي أُسُسَها منها، هذا المستوى الَّذِي فيهِ ما فيهِ مِن الظَّواهِرِ والعوامِلِ، وما يتَّصلُ بِها مِن علاقاتٍ يُسمَّى الجملةَ العربيَّةَ. وما مِن شكٍّ أنَّ معرفةَ نُظُمِ الجُملةِ والعلاقاتِ المترابطةِ فِيها تَتطلَّبُ علماً بِالأصواتِ والمعاجِمِ والأصولِ اللُّغويَّةِ، وهذا بِالضَّرُورةِ يَستَدعِي مَعرفَةً بِمبانِي الجُملةِ أي: أعنِي علمَ الصرفَ وبمعانِي الجملةِ ودِلالاتِها.

---

[٢٦] فِقهُ اللُّغةِ وسرُّ العربيَّة: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: د.خالد فهمي، القاهرة، ١٤١٨هـ، ص١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَتَحدَّدُ وَظيفةُ القَواعدِ في ضَوءِ دراستِنا للنُّصوصِ الفَصيحةِ، بحيثُ نعرضُ للتَّحليلِ والتَّقنينِ لَها، فهِيَ تَدرسُ مُستَوى واحِداً مِن مُستوياتِ العربيَّةِ، وليسَ بِاعتبارِها قَواعدَ اللُّغةِ كلّها، وكلُّ خُطوةٍ نَخطُوها في تقعيدِ هذِهِ القواعِدِ يجبُ أنْ تَشمَلَ ما فوق هذا المستوى، أو ما دُونَهُ قديماً وحديثاً.

وقد أكَّد الدكتور علي أبو المكارم حقيقةً علميَّةً تَغيبُ عن أذهانِ كثيرٍ مِن الباحثينَ في هذا المجال، فقال: "إنَّ في اللغةِ –كما هو ثابت علميَّاً– مستوى صوتيَّاً لا يتداخَلُ فيهِ صوتٌ معَ صوتٍ إلا في ظلِّ نَظْمٍ بِعينِهِ يَدرسُها عِلمُ الأصواتِ، ومستوى بُنيَويَّاً لا تتضارَبُ فيهِ صِيغةٌ مع صِيغةٍ أخرى، ولَهُ نُظُمُهُ الدَّقيقةُ التي فَصَّلَها علمُ الصَّرف، ولها مَستوى تركيبِيٌّ لا تَختَلِفُ فِيه قاعِدةٌ معَ أُخرى بل تَتَّسِقُ جميعاً لأداءِ وظائِفِ الجُملةِ كما يُحدِّدُها عِلمُ النحو"[٢٧].

ونرى أيضاً أنَّ وَظيفةَ القَواعِدِ النَّحويَّة لا تَنحصِرُ فِي ظاهِرة واحِدةٍ من ظواهِرِ النُّصوصِ الفَصيحةِ، بل يَدرسُ ظواهِرَها كامِلة، ويُحلِّلُ خصائِصَها كافَّة، ويُصنِّفُ علاقاتِها والروابطَ الَّتِي تربِطُها بِغيرِها في النَّصِّ، وليسَتْ كما قالَ بَعضُ النَّحويينَ إنَّ وظيفةَ القَواعدِ هِي الوُقُوفُ عِندَ ظاهِرةِ الإعرابِ والبِناءِ مُنفصِلةً عن غيرِها.

٢–تعلُّمُ القواعِدِ وتَعليمُها

إنَّ الإرادة القويَّة هِي السَّبيلُ لإحياءِ الفُصحى ونشرِها، والأخذَ بِالوسائِلِ الصَّحِيحةِ، وتَنبيهَ أبنائِها لِمَا لَها مِن صفاتٍ ومُقوِّماتٍ، وهناك تجاربُ للغاتٍ أثبَتَ أبناؤُها أنَّهم علَى قَدَرِ المسؤوليَّة كبعثِ العربيَّة في مطلَعِ القرنِ العشرين من رقدتِها، وكاللُّغة الروسيَّةِ والعبريَّةِ أيضاً. فالمشكلةُ اللُّغويَّة تُعدُّ نوعاً من التحدِّي، لذا تُسَخَّرُ الجُهودُ لمواجهةِ التَّحدياتِ وتحمُّلِ أعبائِها حتَّى النِّهايةِ.

فَتَعلِيمُ القَواعِدِ النَّحويَّة يختلِفُ تماماً عن البحثِ في مسائِلِ النَّحوِ، فغايةُ البَحثِ النَّحويِّ هو رَصْدُ الظواهِرِ من خلالِ دراسةِ علاقاتِ الجُملِ وتَرابُطِها، وهذا يتمُّ باستِقراءِ نُصُوصِ اللُّغةِ لوضعِ القواعِدِ لها، معَ ما يَقتضيهِ هذا الأمرُ مِن تَصنيفٍ وتَرتيبٍ وتَفسيرٍ، كما يَحتاجُ الباحِثُ أحياناً إلَى مُعطياتٍ أخرى مِن لُغاتٍ مُختلفةٍ فتكونُ دِراسةً مُقارَنةً.

[٢٧] تعليم النحو العربي عرض وتحليل: د.علي أبو المكارم، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م، ص١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأمَّا تَعليمُ القَواعدِ فإنَّه يَرتبِطُ في تَمكينِ المتعلِّمِ قِراءةَ النُّصُوصِ قِراءةً واعِيةً تَتَناسبُ معَ قُوَّةِ هذِهِ اللغةِ وقيمتِها وعراقتِها، وفي إدراكِ الظواهِرِ المطَّردةِ التي تَظهرُ في بِناءِ الجُملةِ العربيَّة، وفهمِ العلاقاتِ بينَ أجزائِها، ثم بعدَ ذلِكَ التمرُّسُ باستِعمالِ هذِهِ الضَّوابِط لِتَحديدِ ما بِداخِلِها مِن رَوابطَ ووشائِجَ، أي أنَّ للتعليمِ إطاراً مُحدَّداً يَعرِضُ لما فِي النُّصوصِ مِن ظَواهِرَ لغويَّةٍ وأساليبَ تَقعِيديَّةٍ.

وتَعليمُ القَواعِدِ النَّحويَّة إنَّما هو مُستَوى معرِفيٌّ يعتمِدُ على توظِيفِ أصُولِ المعرفة التي أحاطَ بِها المتعلِّمُ في تحلِيلِ أجزاءِ الجملةِ العربيِّة عالِماً ومُدركاً ما فيها مِن معانٍ ودِلالاتٍ، وخصائص وعلاقات.وكذلِكَ العنايةُ بِالنُّصوصِ اللُّغويَّةِ الفصيحةِ الَّتي تُساعِدُ علَى الدُّربةِ والمِرانِ وفهمِ مَغزى النَّصِّ وعلاقاتِهِ.

٣-شُروطُ القَواعِدِ النَّحويَّة

القَواعدُ النحويَّة هِيَ مُحصِّلةُ نهائيَّة لمراحِلِ الاستِقراءِ، فهِيَ قانونٌ يَسعَى النُّحاةُ إلَى اكتِشافِهِ، وهِيَ تُقنِّنُ الصِّفاتِ المشتَرَكةَ بَينَ أقسامِ المادَّةِ اللغويَّة، وتُحدِّدُ العلاقاتِ بينَها. وأهمُّ شُروطِ القَواعِدِ النَّحويَّة **أنْ تَكُونَ مُختَصَرةً**، ويَتطلَّبُ هذا الشَّرطُ أنْ يَعتَمِدَ التقعيدُ علَى تَصنيفٍ شامِلٍ، يُحدِّدُ المادَّة اللُّغويَّة، ويحدِّدُ الوظائِفَ النَّحويَّة، ووَجَدَ المعاصِرُونَ هذِهِ الخاصَّةَ من أهمِّ خصائِصِ القواعدِ.

والقَواعِدُ النَّحويَّة في المراحِلِ الأُولَى من وَضعِها كانَتْ أقلَّ اختِصاراً، في الوقتِ نَفسِهِ كانَ المصطَلَحُ أقلَّ ضَبطاً، لكنَّها في الوقتِ نفسِهِ كانَتْ أكثر وَصفيَّة، ونأتِي علَى ذلِكَ بشواهدَ من قواعِدَ وَضَعَها الأوائِلِ ك سيبويه(ت١٨٠هـ) والفرَّاء(ت٢٠٧هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ). يقولُ الفرَّاء في الآية الكريمة: (قُلْ إنَّ الموتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنَّه ملاقِيكُم)[٢٨]: " أدخَلَتِ العرَبُ الفاءَ في خبرِ إنَّ، لأنَّها وَقَعَتْ على الَّذِي، والَّذِي حرفٌ يُوصَلُ، فالعَرَبُ تُدخِلُ الفاءَ في كلِّ خبرٍ كانَ اسمُهُ ممَّا يُوصَلُ، مثل: مَنْ والَّذِي وإلقاؤُها صوابٌ"[٢٩].

---

[٢٨] الآية ٨ من سورة الجمعة.

[٢٩] معاني القرآن: لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ-٨٢٢م)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجَّار، ط٣، القاهرة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ٣: ١٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذِهِ القَاعِدةُ وَفْقَ تَعبيرِ المتأخِرِينَ تُصاغُ علَى النَّحو الآتِي: يَجُوزُ دُخُولُ الفاءِ في خبرِ الاسمِ الموصُولِ. وواضِحٌ أنَّ هذِهِ الصياغةَ أكثرُ اختِصاراً، فهِيَ تعتَمِدُ علَى ضَبطٍ أدقَّ لِلمُصطلَحِ، لكنَّها فِي الوَقتِ نَفسِهِ أكثرُ مِعياريَّة، حيثُ تَتَحدَّثُ عنِ الجوازِ، وهوَ ما لم نَرَهُ فِي عِبارةِ الفرَّاء[٣٠].

ومِن شُروطِ القَواعِدِ النَّحويَّةِ أيضاً **أنْ تَكُونَ عامَّة**. فقد أكَّدَ النُّحاةُ العَربُ علَى أنْ تَكُونَ مطَّرِدة تَخضَعُ لها جزئياتُ المادَّة العلميَّة المجمُوعةِ، فتكونُ القَواعِدُ قد خَضَعَتْ إلَى مَجمُوعةٍ مِن وَسائِلِ التحقُّقِ تكلَّمَ عنها النُّحاةُ تحتَ عناوينَ منها: مسالِكُ العِلَّةِ، شُروطُ العِلَّة، الطَّردُ، العَكسُ، دَورانُ العِلَّةِ مَعَ المعلُولِ، وغيرُ ذلِكَ.

ومِن الشَّواهِدِ على اطِّرادِ القَواعِدِ ما أوردَهُ الأخفش في قولِهِ تعالَى: (أنَّ لَهُم جنَّاتٍ)[٣١] جُرَّتْ، وقد وَقَعَتْ علَيها " أنَّ "، لأنَّ كُلَّ جَماعةٍ فِي آخرِها تاءٌ زائِدة تَذهَبُ في الوَاحِدِ أو فِي تَصغِيرِهِ فَنَصبُها جرٌّ. ألا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ: جنَّةٌ فتذهَبُ التاء، وقالَ تعالى: (خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ)[٣٢]. والسَّماواتُ جرٌّ، والأرضُ نصبٌ، لأنَّ التاءَ زائدة، ألا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ سماء"[٣٣].

ففي هذِهِ الآيةِ حرصٌ على إفهامِ القَارِئِ القَواعِدَ النَّحويَّة يظهرُ ذلِكَ فِي التَّعلِيلِ والحُجَّةِ، وفي الإكثارِ من الأمثلةِ والشَّواهِدِ، ومِن صِياغةٍ وصفيَّة فهِيَ تعني في عرف النُّحاة اليومَ: – كلَّ جمعٍ مؤنَّثٍ سالِمٍ يُنصَبُ بِالكسرةِ نيابة عنِ الفَتحةِ، ويجرُّ بِالكسرةِ، ويُرفَعُ بِالضمَّةِ. وهذا هو الحالُ في أكثرِ النُّصُوصِ الَّتِي تَنتمِي إلَى هذِهِ الفترةِ.

ومِن الشروط الهامَّةِ لِقَواعِدِ النَّحو عِندَ القُدماءِ والمحدثينَ على حدٍّ سواء **الضَّبطُ**، ونعني بِهِ الموضُوعيَّةَ في التجريدِ بوضعِ الشَّواهِدِ والأَمثلةِ، ويَظهرُ ذلِكَ في مظهرينِ اثنَينِ، الأول: أنَّهم كانُوا يَرُدُّونَ قواعِدَهُم إلَى ما

---

[٣٠] الأسس المنهجية للنحو العربي دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم: د. حسام أحمد قاسم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص١٧٢.

[٣١] الآية ٢٥ من سورة البقرة.

[٣٢] الآية ١ من سورة الأنعام.

[٣٣] معاني القرآن: للأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، تحقيق: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ١: ٥٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَقُولُهُ العربُ، ويُوثِّقُونَ كُلَّ قاعِدةٍ يَصِلُونَ إلى تَجرِيدِها بِالشَّواهِدِ والأمثلةِ، وهُوَ ما يُعرَفُ عِندَهُم بالاحتِجاجِ، وهو ما يُشبِهُ تَحقيقَ الفرضِ في التَّجارِبِ العلميَّةِ.

والثَّاني هو المقاييسُ التي أنشؤُوها ليتعرَّفُوا بِها علَى كلِّ الأبوابِ النَّحويّة، كقولِ ابن السراج (ت٣١٦هـ): " وتَعتَبِرُ خبراً لمبتدأ بِأنَّكَ متى سألْتَ عنِ الخبرِ جازَ أنْ يُجابَ بِالمبتَدأ، لأنَّهُ يَرجِعُ إلى أنَّه هو في المعنى. ألا ترى أنَّ القائِلَ إذا قالَ: عمرٌو منطلِقٌ، فقلْتَ: مَنِ المنطلِقُ؟ قالَ: عمرٌو "[٣٤]. وهكذا ضَبَطَ ابن السراج المبتدأ بِصياغةِ السُّؤالِ والجوابِ، وهو يشبِهُ ضَبطَ العَمليَّاتِ الحِسابيَّة تماماً.

ومن شروطِ القَواعِدُ النحويَّة **التَّصنِيفُ**. فالقَواعِدُ نِظامٌ تتشابَكُ فيهِ العلاقاتُ العضويَّة، حتَّى يصيرَ بِهذا التشابُكُ بناءاً واحِداً يَصعُبُ نفيُ شيءٍ منه أو إضافةُ آخرَ إلا بِدليلٍ، فهو يتَّسِمُ بِالتَّماسُكِ وعدمِ التناقضِ، فلو كانَ متناقِضاً لما صَلُحَ للتَّطبيقِ. ومِن ذلِكَ ما أوردَهُ سيبويه في الشَّرطِ: " اعلَمْ أنَّ حروفَ الجزاءِ تجزمُ الأفعالَ ويَنجَزِمُ الجَوابُ بِما قبلَهُ، وزَعَمَ الخليلُ أنَّكَ إذا قُلْتَ: إنْ تأتِنِي آتِكَ، فـ آتِكَ انجزَمتْ بـ إنْ تأتِني، كما تَنجَزِمُ إذا كانَتْ جواباً للأمرِ حينَ قُلْتَ: ائْتِنِي آتِكَ....واعلم أنَّه لا يكونُ جوابُ الجزاءِ إلا بِفعلٍ أو بالفاءِ"[٣٥].

فهنا القاعدة عند المحدثينَ تقول: -أدواتُ الشرطِ الجازمة تجزمُ فعلينِ، الأوَّل فِعلُ الشرطِ والثاني جوابُ الشرطِ، فالأوَّلُ سببٌ لحصولِ الثاني. - ولا يكونُ جوابُ الشرطِ الجازمِ إلا بِفعلٍ أو اقترانٍ بِالفاءِ عندَ القُدماءِ والمحدثينَ أيضاً. وهذا ما يُدعَى الضَّبطَ للظاهرةِ المدروسةِ.

ونخلصُ أيضاً من ذلِكَ إلَى أنَّ القواعِدَ النَّحويَّةَ لم تَعُدْ مُجَرَّدَ وسِيلةٍ لِفَهمِ النُّصُوصِ الدِّينيَّةِ أو أداةً لتعلُّمِ طُرقِ الكلامِ والحديثِ واللُّغةِ العربيَّةِ بِفروعِها وحسبُ، بل لها أيضاً أهدافُها العِلميَّةِ العامَّةِ بِجانِبِ الأهدافِ التَّطبيقيَّةِ الكثيرةِ، ومنها الإفادةُ مِن نتائِجِ تعليمِ اللُّغاتِ الأخرى، والتَّخطيطِ اللُّغويِّ، وعلمِ الأصواتِ وخصائِصِ العربيَّةِ ذاتها، ومعرفةِ القرائِنِ المعنويَّة واللفظيَّة ودورِها في تحليلِ الكلامِ والرَّبطِ بينَ أجزائِهِ، وهذا لا يتأتَّى بِالطَّبعِ إلا مِن خِلالِ نُصُوصٍ فَصِيحةٍ تُؤدِّي إلَى تَعليمِ القَواعدِ النحويَّةِ واستِظهارِها.

---

[٣٤] الأصول في النحو: ابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ١: ٦٩.

[٣٥] الكتاب: ٣: ٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

وهكذا تَبَيَّنَ لنا ممَّا سَبَقَ أنَّ النصَّ الأدبِيَّ مُهِمٌّ، بل وأساسٌ في بِناءِ القواعِدِ النَّحويَّة، فلا يُمكنُ تَعليمُ القواعدِ دونَ نصوصٍ فَصيحةٍ مُنتقاةٍ ومَدرُوسةٍ حتَّى يَتمكَّنَ الدَّارِسُ مِن الفَهمِ والاستِنباطِ، ويمتلِكُ الأداةَ التي تَجعلُهُ يَتعلَّمُ أُصُولَ عربيَّتِهِ. ومُمارَسةُ النُّصُوصِ العاليةِ، والإكثارُ مِن حِفظِها، ومُزاولةُ استِعمالِها هِيَ التي تُعطِي الدَّارِسَ التمكُّنَ فيها، والقُدرةَ على استِعمالِها استِعمالاً جيِّداً، وتَجعَلُهُ بكثرةِ مَحفوظِهِ قادراً على تَذوُّقِ الأساليبِ والتمييزِ بينَها، وهذا التذوُّقُ يجِبُ أنْ يَسبِقَ تَعلُّمَ القَواعِدِ نَظَرِيَّاً، فالقواعِدُ نِظامٌ تتشابَكُ فيهِ العلاقاتُ العضويَّة، حتَّى يصيرَ بِهذا التشابُكُ بناءاً واحِداً يَصعُبُ نفيُ شيءٍ منه أو إضافةُ آخرَ إلا بِدليلٍ، فهو يتَّسِم بِالتَّماسُكِ وعدمِ التناقضِ، فلو كانَ متناقِضاً لما صَلُحَ للتطبيقِ.

توصيات البحث:

١-الإكثارُ من حِفظِ النُّصوصِ الفَصيحةِ العالِيةِ، وعلَى رأسها نُصُوصٌ مِن القُرآنِ الكريمِ، والأحاديثِ النبويَّة، وكلامِ العربِ شعرِهِم ونثرِهِم.

٢-التطبيقُ علَى هذِهِ النصوصِ، وبيانِ القواعِدِ الثابتةِ والابتعادِ عنِ الفروعِ والجزئياتِ والآراء المختلفةِ التي لها تفريعاتٌ وتخريجاتٌ.

٣-فَهمُ رُوحِ القاعِدةِ، وفَهمُ روحِ النَّصِّ، والتمكُّنُ من التعبيرِ عن ذلِكَ بِالكتابةِ والقراءةِ والممارسةِ الدَّائمةِ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

١-أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد السيرافي (٣٨٦هـ)، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٢-الأسس المنهجية للنحو العربي دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم: د. حسام أحمد قاسم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣-الأصول في النحو: ابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٤-أصول النحو العربي: د.محمد خير الحلواني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١١م.

٥-التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.

٦-تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، ١٩٥٩م.

٧-تعليم النحو العربي عرض وتحليل: د.علي أبو المكارم، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٨-الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٢م.

٩-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبدالله بن عقيل الهمداني (ت٧٦٩هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٠-صحيح مسلم: مسلم أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت٢١٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩١م.

١١-طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٢م.

١٢-فصول في فقه اللغة العربية: د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٣-فِقهُ اللُّغةِ وسرُّ العربيَّة: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: د.خالد فهمي، القاهرة، ١٤١٨هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٤-الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٥-اللغات السامية: نولدكه، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٦-المحتسب في شواذ القراءات: لأبي الفتح بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حفني ناصف، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، ١٩٦٦م-١٣٨٦هـ.

١٧-المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية: عبدالمجيد عابدين، القاهرة، ١٩٥١م.

١٨-مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ) تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة بالقاهرة، ١٩٧٧م.

١٩-مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٣هـ)، نشره محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٩٣م.

٢٠-مشكلات تعليم اللغة العربية: د.عباس محجوب، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢١-معاني القرآن: لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ-٨٢٢م)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجَّار، ط٣، القاهرة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٢٢-معاني القرآن: للأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، تحقيق: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.